Marrash's Utopia as a pillar of Civilization-Al

Dr. Hala Ali*
Boushra Maghraqouni**

(Received 11 /2 / 2025. Accepted 29 /6 / 2025)

□ ABSTRACT □

This research presents the vision of François Merras for a utopia based on equality and justice, where freedom is achieved for all members of society. The study emphasizes the importance of utopian thinking in shaping future visions of communities and highlights Merras's role in offering an intellectual model that calls for progress and civilization. Although his stance on the separation of religion and the state is not entirely clear, he rejects the exploitation of religion for personal gains. He underscores the importance of science and rationality in building his ideal society, opposing backwardness and ignorance. The aim of the research is to shed light on the social and philosophical aspects of Merras's thought, including the pillars of civilization as key objectives for establishing equality, justice, and freedom. This is reflected in his conception of an ideal, virtuous city, which shares some features with Thomas More's vision. The research also examines the practicality and feasibility of his ideas, with the analysis revealing a lack of clear mechanisms for implementing his vision in real life, rendering it more utopian and idealistic. The study adopts an analytical methodology to explore Merras's ideas and texts, as well as to compare them within the intellectual context of his era. This approach allows for a deeper understanding of his propositions, arguments, and their place within the Arab Renaissance intellectual movement. Despite the practical challenges to realizing his ideal society, his thought remains influential and inspiring in discussions related to civilizational progress and modernization.

Keywords: Utopia, civilization, freedom, equality, love.

Copyright **:** Latakia University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant Professor, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, , Latakia University, Syria.**
** **Postgraduate Student and Teaching assistant specializing in modern Arab thought, Department of Philosophy ،Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Syria.**
boushra.a.maghraqouni@tishreen.edu.sy

يوتوبيا المرّاش بوصفها ركيزة للتمدن

د.هلا علي *

بشرى مغرقوني **

(تاريخ الإيداع 11/ 2/ 2025. قُبِل للنشر في 29 / 6/ 2025)

□ ملخّص □

يقدم هذا البحث تصوّر فرنسيس المرّاش ليوتوبيا قائمة على المساواة والعدالة، حيث تتحقق الحرية لكافة أفراد المجتمع. وينبع البحث من أهمية الفكر اليوتوبي في تكوين الرؤى المستقبلية للمجتمعات، مُبيناً دور المرّاش في تقديم نموذج فكري يدعو من خلاله إلى التقدم والتمدن. ورغم إقرار بعدم وضوح موقفه من مسألة فصل الدين عن الدولة، إلا أنه رفض استغلال الدين لأغراض شخصية. مؤكداً أهمية العلم والعقلانية في بناء مجتمعه المثالي، مُعارضاً التخلف والجهل. ثم يأتي هدف البحث إلى إبراز الأبعاد الاجتماعية والفلسفية في فكر المرّاش، مُضمناً دعائم التمدن كأهداف رئيسية لإقامة المساواة والعدل والحرية، وذلك من خلال تصوره لمدينة مثالية فاضلة تتقاطع في بعض ملامحها مع تصور توماس مور. كما يسلط هذا البحث الضوء على مدى واقعية أفكاره وإمكانية تطبيقها. لجهة أن التحليل يظهر افتقار المراش الآليات الواضحة لتحقيق تصوره على المستوى العملي والواقع، وهذا ما يجعلها أقرب إلى الطوباوية المثالية. وفي هذا الإطار يعتمد البحث على المنهج التحليلي لدراسة أفكار ونصوص المرّاش، وأيضاً مقارنتها بالسياق الفكري لعصره، وهذا ما يتيح لنا فهمها بشكل أعمق لطروحاته وحججه وموقعها ضمن مسار الفكري النهضوي العربي. وبالرغم من التحديات العملية التي تواجه تحقيق رؤيته المثالية للمجتمع، إلا أن فكره يظل مؤثراً وملهماً في النقاشات الفكرية حول مسائل التمدن والتحديث.

الكلمات المفتاحية: اليوتوبيا، التمدن، الحرية، المساواة، المحبة.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **مدرس مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة اللاذقية، سورية.**

** **طالبة ماجستير ومعيدة باختصاص فكر عربي حديث، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، سورية.**

boushra.a.maghraqouni@tishreen.edu.sy

مقدمة

في سياق البحث عن المثالية والكمال في الفكر الإنساني، يبرز مفهوم اليوتوبيا كحلمٍ راود البشرية عبر العصور، وخاصة عصر النهضة، حيث تسعى إلى تحقيق مجتمعٍ مثاليٍ خالٍ من الظلم والصراعات، يعيش أفراده في تناغمٍ تامٍ مع أنفسهم ومع الطبيعة. وفي هذا الإطار، يقدم فرنسيس المرّاش رؤيةً فريدةً لليوتوبيا، تجمع بين الأصالة العربية والحداثة الغربية، مما يجعلها موضوعاً غنياً للدراسة والتحليل. يُعتبر المرّاش من الروّاد الذين حاولوا صياغة تصورٍ متكاملٍ للمجتمع الفاضل، متأثرًا بالفلسفة الغربية من جهة، ومتمسكًا بالقيم الشرقية من جهةٍ أخرى. ومن خلال هذا البحث، سنحاول تسليط الضوء على رؤية فرنسيس المرّاش لليوتوبيا، وكيفية تجسيدها في أعماله الفكرية والأدبية، مع التركيز على مدى إسهاماته في إثراء هذا المفهوم وإعادة صياغته في إطارٍ عربيٍ معاصر.

بالرغم من صعوبة تحديد أصول اليوتوبيا، إلا أن هذا النمط من التفكير يتجلى في الثقافة العربية القديمة والحديثة، ويشير إلى الاختلافات والتنوع في اتجاهات اليوتوبيا وطرق تحقيقها، سواء كانت دينية تتركز على الله في رسم صورة الجنة، أو حديثة تبني عالماً جديداً، استناداً إلى الواقع والخيال معاً. وقد تمثل هذا النمط في فكر المرّاش، في ظل الاستبداد والظلم للواقع الذي كان يعيش فيه، وبشكل خاص في رواية غابة الحق. تبعاً لذلك، يُطرح تساؤلنا التالي: كيف جسدت رؤية المرّاش اليوتوبية نظرةً متكاملةً لمستقبل المجتمع؟ وما آلياتُها في سياق عصره؟ وهل تُمثّل رؤيته مثاليةً بحتةً وفقاً لمفهوم أفلاطون وغيره أم مزيجاً بين الواقع والمثالية؟

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث من حيث أنه يُسلط الضوء على مفهوم اليوتوبيا، وذلك من خلال استكشاف رؤية المفكر العربي البارز في القرن التاسع عشر، فرنسيس المرّاش. يُسهم البحث في فهم كيف ساهمت التطورات الاجتماعية والسياسية في بلورة رؤيته المثالية للمجتمع، وهذا ما يعكس عمق التفاعل بين الفكر والواقع. علاوة على ذلك، يُعد هذا المبحث فرصة لإعادة النظر في القيم الأساسية التي تُشكل مجتمعاتنا، واستكشاف إمكانية تطبيق أفكار المرّاش في السياقات المعاصرة، خصوصاً في ظل التحديات العالمية الراهنة المتعلقة بالعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، والتي لا تزال قائمة حتى الآن.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تقديم رؤية متكاملة لليوتوبيا في أعمال المرّاش، وذلك من خلال فهم العناصر الفلسفية والاجتماعية التي تحملها رؤيته، وكيف استخدم عنصر الخيال لتقديم تصورعن التغيير السياسي والاجتماعي. كما يهدف إلى فهم كيفية انعكاس هذه الرؤية اليوم في عصرنا الحالي من تطلعات الإنسان في العالم نحو مستقبل افضل.

منهجية البحث

نعتمد في هذا البحث المنهج التحليلي لفهم العلاقة بين الفلسفة والسياسة في الفكر العربي الحديث، باعتبار ان اليوتوبيا ليست مجرد رؤية مثالية وحسب، بل نقداً للواقع القائم. كما يُسلط البحث الضوء على السياق التاريخي لفكر المرّاش، ويستكشف الظروف السياسية والاجتماعية التي شكلت رؤاه من خلال تحليل نصوصه الرئيسية التي تعبر عن مفهوم اليوتوبيا.

الدراسات السابقة:

إن الدراسات التي تناولت فكر المرّاش محدودة، خاصةً فيما يتصل بتصوراته اليوتوبية. إذ ركزت أغلب الأبحاث على الجوانب اللغوية أو إصلاحية عامة، دون التطرق إلى البعد التمدني الكامن في كتاباته. إلا أن أطروحة كرم الحلو تبقى من أبرز ما كُتب عنه، لكنها لم تتناول اليوتوبيا بوصفها أداة للتمدن في فكر المرّاش.

أولاً_ العوامل التي ساعدت في تشكيل توجهات فكر المراش وموقعه في الفكر العربي الحديث

تأتي أهمية ومكانة أسرة المرّاش في بلورة فكر المرّاش، وكذلك دورها الكبير في الحياة الاجتماعية والثقافية في حينه. حيث تعتبر عائلة المرّاش، في الواقع، من أهم العائلات التي ساهمت في النهضة الأدبية في حلب خلال القرن التاسع عشر، حيث يقول فيليب دي طرازي في هذا الصدد: "منزلة آل مرّاش بين نصارى حلب بنهضتهم الأدبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كمنزلة آل اليازجي وآل البستاني في لبنان والديار الشامية، فإنهم أيقظوا روح المعارف في أبناء وطنهم وخدموا العلوم بالتأليف والصحافة."[1]

برز تأثير نضال أسرة المرّاش في حياة طائفة الروم الكاثوليك في حلب، حيث تميزت هذه العائلة بمواقفها القوية، ليس فقط في دعم حقوق طائفتهم وحسب، بل لكافة الطوائف الأخرى التي كانت تعاني من الاضطهاد. إذ أيدوا الحلول السياسية ونادوا بالبعد عن العنف، واختاروا أن يجعلوا نضالهم ذا طابع فكري وثقافي، مستخدمين العلم والعقل كسلاح لهم في مواجهة تلك السياسات الظالمة. وكل هذا جعلها تتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع الحلبي، حيث حظيت بالاحترام والتقدير من قبل جميع سكان المدينة. وقد كانت رحلتهم في النضال ضد السلطة التركية معتمدةً العلم والآداب، وانهمامهم باللغة العربية يقول لويس شيخو بهذا الصدد: "كما برز اليازجيون والمللكيون في لبنان وبيروت بانصبابهم على العربية في القسم الثاني من القرن التاسع عشر، كذلك كان آل مرّاش الملكيون يتقدمون في حلب أهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغة"[2] ولم ينحرفوا عن هذا المسار رغم التحديات التي واجهوها، مما جعلهم قدوة للمثابرة والتصميم على تحقيق العدالة بطرق سلمية ومدروسة.

ومن العوامل التي أسهمت في تكون فكر المرّاش، أيضاً لقاءاته مع الجاليات الأجنبية التي لعبت دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية والتجارية في حلب والمنطقة بعامة.

يمكن أن نستنتج أن المرّاش وقع تحت تأثير كل ذلك وبصورة خاصة الذهنية الغربية التي حملتها تلك الفئات التجارية التي امتازت بتكوين ذهني خاص كان ثمرة احتكاكها الاقتصادي– الأيديولوجي بالغرب وأفكارها التنويرية في حينه[3].

كل ذلك أتاح للمرّاش أن يقوم بنوع من التأمل الحزين للذات الحضارية العربية التي غدت هامشية ومتخلفة قياساً إلى الحضارة الغربية التي تعد نفسها مركزاً للعالم ونقطة جذب له. ويمكن أن نستشعر ذلك في انجذاب المرّاش لباريس، لجهة ما تمثله من مكانة عالمية ومركزاً خلاقاً لسعي الشعوب وتطلعاً إلى القيم العليا المتمثلة بالعدالة والحرية والمساواة، فهذه المقولات عزيزة على المرّاش، التي تشكل محور تفكيره. وفي هذه المدينة تلقى المرّاش أفكار التنوير وبصورة

[1] طيرازي، فيليب دي، تاريخ الصحافة العربية 1931، مؤسسة هنداوي، مصر، 2023، ص 213.

[2] شيخو، لويس، تاريخ الآداب العربية، ج2، دار المشرق، ط 3، بيروت، 1991، ص 170، 171.

[3] باروت، محمد جمال، حركة التنوير العربي في القرن التاسع عشر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994، ص 67.

خاصة أفكار جان جاك روسو (Jean Jacques Rousseau) و العقد الاجتماعي، وكل ماله صلة بمفاهيم الحرية والمساواة.

ثانيا: أهم أسس المدينة الفاضلة

يرسم المرّاش صورة لعالم جديد يتمتع بالعدالة والحرية. قائلاً في روايته "غابة الحق"، بينما كنت أجول في مراسح الأوهام العقلية وأطوف في مسارح الخيالات الفكرية. إذ استلمحت شبحاً يتقارب من بُعد، وهو يخبُّ في بطن الغاب غائصاً في غمر الظلال المتكاثف، وما زال يعسف على قدم الإقدام حتى نفذ من تلك الغمرات المدلهمة، وظهر في مرسح الأحالم ظهور القمر من كبد الغمام" [4]

هذا الحلم بشكله التراثي يربط بين الماضي والحاضر نحو آمال المستقبل. حيث يوحي لنا برحلة فكرية داخل العقل البشري تبدأ من الفكرة الغامضة ثم تتضح تدريجياً. إذ يحلم المرّاش بإيجاد عالم يسود فيه العدل والمساواة، حيث يُظل طريق الحرية للجميع ويبقى تمدن المملكة محافلاً في ظل الظلم والاستبداد.وهو ما أشار إليه جابر عصفور: " إذ لم يكن ذلك غائباً عن وعي المرّاش، الذي كان يحلم بعالم جديد تسود فيه مبادئ الحرية والعدالة والمساواة، وتتخلى فيه السلطات القائمة عن تصورات العالم القديم، ممهداً الطريق لقيام مملكة التمدن في عالم واحد."[5]

يمكننا ملاحظة رغبة المرّاش في تحقيق توازن بين دينه والحرية التي يؤمن بها*[6]. معتبراً أن مملكة الحرية قد نشأت "منذ قيام مملكة الروح". فالروح هي الدين، وفقه، من حيث "أن مملكة التقدم لم تقم إلا منذ قيام المملكة القديمة، الأمر الذي يعني التلازم بين نشأة الديانات ونشأة الحضارات التي أفضت إلى تمدن البشرية."[7]

كتب المرّاش في هذا نصاً طويلاً، يُمكن اعتباره نصاً يوتوبياً يُجسّد رؤيةً مثاليةً لمجتمعٍ متمدّن، إذ يتحدث عن "عائلة ازدهرت في بيئة خصبة، تحت حكم كبيرها، ومن ثمّ نمت لتُشكّل مجتمعاً حكمه أميرٌ وسنَّ قوانينه. رأى أولئك القوم أن هيئتهم الإجتماعية قد انطوت على كل شروط الأمن، والسلام، وصارت حديقة حياتهم تزهو بأثمار الدعة والسكون تحت سياسة أميرهم....ولما كان لا يمكن لنظر الراوي أن يدرك جليّاً كيفية امتداد تلك السياسة على العالم، ولا أن يستوضح حقيقة المسلك الذي نهجته لها الأقدار لما يعارضه هناك ،من ظلمات العصور والأزمان، كان واجباً عليه حينئذٍ أن يستخدم العقل كمصباح (كمرشد)..."[8] يقدم النص سرداً، يُشبه في بنائه الروائي قصص التطور الحضاري التي تُروى في الأدب العربي الكلاسيكي، لتطور المجتمع من حالة البداوة إلى حالة المجتمع المنظم. إذ يبدأ السرد بمجموعة صغيرة تعيش على الرعي في بيئة خصبة، ثم تتطور إلى مجتمع زراعي، وتتطور تقنياتهم، وتنشأ لديهم مؤسسات سياسية واجتماعية. يُلاحظ في سياقه، الانتقال من حكم شيخ

---

[4] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق(1865)، مؤسسة هنداوي، 2014، ص 19.

[5] عصفور، جابر، مقدمة غاية الحق، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2001، ص 14، 15.

[6] في فكر المرّاش، يتأثر بشكل كبير بالجانب الديني الذي كان جزءاً لا يتجزأ من بيئته الثقافية الأصلية، أي العائلية، ينعكس هذا التأثير في أعماله، حيث يستند في كتابه "شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة" إلى الكتاب المقدس ليبرز صحة التنبوّات الدينية وتوافقها مع الحقائق التاريخية، معتبراً الميل الديني في الإنسان جزءاً من طبيعته وحماية أساسية تحافظ على استقراره وتوجهه. هكذا، يدمج هذه المفاهيم ويضعها في دائرة الأدب. انظر الحلو، كرم، الفكر الليبرالي عند فرنسيس المرّاش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 219. بتصرف.

[7] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 30.

[8] المصدر نفسه، ص 39، 40، بتصرف.

القبيلة إلى حكم الأمير، الذي يطبق القوانين ويحافظ على الأمن والاستقرار، تطوراً بارزاً في بنية المجتمع. ويُبرز هذا التحول دور العقل والعمل في تحقيقه، مشيراً إلى أهمية السياسة والقوانين في تنظيم شؤون المجتمع، وضمان رفاهيته واستقراره.

في هذا الإطار يُشير إلى وجود مملكة روحية تعكس رؤية مثالية تسعى لبناء مدينة فاضلة أو يوتوبيا، تتجسد في روايته، التي تمثل تصوراً للتقدم والتحديث. هذه المملكة تهدف إلى تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان، وذلك من خلال تحقيق توازن بين التمدن والحرية، وبين الروح والجسد، مما يُمكّن الإنسان من بلوغ السعادة في الدنيا والآخرة. كما تُؤكد هذه الرؤية أهمية العلم والعقل كأدوات للتقدم، وتدعو إلى الانسجام بين الدين والعلم في عالم مثالي، حيث تتعاون مملكة الروح مع مملكة التمدن لتحقيق أهدافها السامية.

ثم يُصوّر لنا صراع بين الخير المتمثلة بمملكة الروح والشر بالعبودية، حيث تعمل مملكة الروح كحليف لمملكة التقدم لتحقيق الحرية المنشودة. وعليه يدعو إلى تطوير الروح والعقل كوسيلة لتحقيق سعادة الإنسان وحريته، موضحاً كيفية تحقيق التوازن بين الروحانية والحضارة لبلوغ الأهداف الإنسانية النبيلة. إذ نجده مُستخدماً أسلوباً حوارياً رمزياً يدخل في إطار النقاش الفلسفيّ، مُثيراً اسئلةً متعلقة بطبيعة الحكم والسلطة.

في سياق رؤيةٍ مثاليةٍ لِلمجتمع المنظّم القائم على العدل والإنصاف.[9] معتبراً أن مملكة الروح_القوة الوحيدة القادرة على حفظ النظام الاجتماعي، من خلال التأثير على الضمائر والقلوب، مساعدةً على منع الشر والفوضى. لكن دون تقديم أدلة كافية على ذلك. مشيراً الى قوة غامضة أو "عناية علوية" حسب تعبيره، تسيطر على العالم. من زاوية أخرى، تجسد رؤيته الفريدة لتحقيق توازن مثالي بين الحرية والحكمة في إدارة المدينة الفاضلة، تحت قيادة حكيمة ومتزنة. تعكس هذه الرؤية حكماً متوازناً يجمع بين الحرية، التي تمثل الحق الأساسي للفرد، والحكمة المعبرة عن القدرة على اتخاذ القرارات الصائبة.

يوفر المرّاش لمدينته الفاضلة بيئة مثالية للنمو والتطور، بعيدة عن الأخلاق الرديئة التي تهدد بتدمير الأمم والممالك. وفي هذا الضوء خالف المرّاش نموذج أفلاطون في مدينته الفاضلة، إذ إن المرّاش اتبع نهجاً فكرياً مختلفاً عن أفلاطون. فعوضاً عن تأسيس المجتمع على فروق جوهرية بين البشر تبرر توزيع السلطة، آمن المرّاش بإمكان تطوير الجميع عبر تهذيب النفوس وتثقيف العقول. كما أنه ربط بين الإصلاح الاجتماعي والسياسي وبين تحرير الإنسان من كل أشكال العبودية والجهل، بينما ظل أفلاطون يربط الفضيلة بالنظام والتسلسل الطبيعي الذي يفرضه تباين الطبائع.

حيث يُلاحظ أن التمييز الطبقي في فلسفة أفلاطون – كما عُرض في "الجمهورية" – قائم أساساً على التمييز المعرفي، لا على مجرد الفروق الاجتماعية أو الاقتصادية. إذ قسّم أفلاطون مجتمعه المثالي إلى ثلاث طبقات: طبقة الفلاسفة وللحكماء، وطبقة الجنود، وطبقة المنتجين (الزّراع والحرفيين)، بناءً على الفروق الطبيعية في القدرات المعرفية والروحية لكل فرد، حيث يرى أن العدالة تتحقق عندما يؤدي كل فرد العمل الذي يناسب طبيعته ومؤهلاته دون تعدٍّ على دور الآخرين. وهكذا، كانت المعرفة والحكمة، وليس المال أو النسب، هي معيار التمييز بين الناس.

[9] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 31، 32، 33. بتصرف.

نستنتج في هذا الضوء، أن أفلاطون يرى الفيلسوف هو الأجدر بتولي الحكم؛ لأنه لا يسعى إلى السلطة، بل يحكم بدافع خدمة الخير العام، لا بدافع تحقيق مصالح شخصية. ولذلك، فإن حكمه سيكون عقلانياً وعادلاً، لا تحكمه الأهواء ولا المصالح، إذ إنه لا يحكم حباً بالسلطة، بل إيماناً بواجبه الأخلاقي تجاه المجتمع.

في المقابل، يتبنى المرّاش، في كتابه "غابة الحق"، تصوراً اجتماعياً وفلسفياً مختلفاً، بالرغم أن كليهما كانا يسعيان لتحقيق العدالة ونشر الفضائل. فهو لم يقسم المجتمع إلى طبقات مغلقة بناءً على فروق طبيعية أو معرفية، بل سعى إلى خلق بيئة متساوية تُبنى على أساس القيم الإنسانية المشتركة، مثل المحبة، والتعاون، وتهذيب الأخلاق. عند المرّاش، الجميع قادرون على التعلم والارتقاء، ولا يُحتكر الحكم أو القيادة لطبقة مخصوصة. وقد انعكست هذه الرؤية في جعل الفيلسوف مستشاراً حكيماً لا حاكماً متسلطاً، مما يعبر عن نزعة ديمقراطية وإنسانية أوسع من التصور الأفلاطوني. بالتالي، إن الاختلاف الجوهري بينهما يكمن إذن في رؤية الإنسان وقدرته على التطور والارتقاء: فأفلاطون يرى أن الطبيعة قد حكمت بوجود فوارق ثابتة بين البشر، في حين يرى المرّاش أن القيم والتعليم قادران على صوغ مجتمع أفضل دون حواجز طبقية أو معرفية.

باعتماده الأسلوب التقليدي، وباستخدام التأملات والحلم كوسيلة لاستكشافه، يقدم هذه اليوتوبيا الغامضة جنباً إلى جنب مع "غابة الحق"، التي تحمل رسالة مفادها التعبير عن الواقعية والإيمان بعيداً عن العنوان الأصلي للنص. وكأنه أراد عنونته (غاية الحق)، وهنا يتشابه هذا الموضوع مع الرسائل الدينية، حيث يعتبر الهدف الأساسي للكتاب، تحقيق الغايات العليا. إذ يدخل إلى التفاصيل العميقة والمعاني الخفية في هذا الحلم، ويُحاول بلمساته السردية الرمزية تغيير الأفكار السائدة والتأمل في عوالم جديدة للوصول إلى النضج الروحي والفهم العميق. إذ تمثل هذه الرواية " نوع مختلف، يصار التركيز فيها على القيمة الذهنية والرمزية للسرد، وبلغة لا تمتثل للموروث السائد إنما تحاول الاحتجاج عليه في التركيب والغاية."[10]

عند تحليل أفكاره وتأملاته، ندرك أن المرّاش يركز على قيم العدالة والمساواة والحرية كخصائص أساسية لبناء مجتمع مزدهر ومنظم. وبالرغم من عدم تقديم خطة دقيقة لمدينته اليوتوبية، إلا أنه يؤكد أهمية وجود نظام قانوني عادل يحافظ على حقوق الأفراد ويزيل التمييز الاجتماعي والجنسي والديني. كما يشدد على أهمية التعليم والتفكير النقدي في تمكين الأفراد وتحقيق التقدم. بجمعه بين الأفكار الفلسفية والرمزية والأحلام العميقة، معبراً عن رؤيته للعالم المثالي الذي ينمو فيه الفرد ويتطور نحو تحقيق الجمال والحب والمعرفة. إذ يتطلع نحو ثلاثية القيم المنشودة بالحق والجمال والخير، من خلال تحقيق التوازن بين السلطة والعقل النقدي في سعيه لبناء مجتمع يعكس تلك القيم النبيلة.

ثالثاً: المرتكزات الخمسة لإقامة التمدن

في هذا الإطار، يقدم خمس دعائم أساسية لإقامة التمدن، تتلازم بشكل عضوي في فكره. ومع ذلك، تبقى الحرية الدعامة الأساسية بينها، وتمثل الركيزة الأساسية في نزعته الليبرالية.

توسمت الدعامة الأولى "تهذيب وتحسين السياسة" وأثرها على الحكم: إذ يبدأ الحديث في غابة الحق: "إنه لما كان نظام العالم الإنساني لا يمكن قيامه محفوظاً من كل خلل إلا بسياسته، كانت هذه الشريعة تقتضي تمام الالتفات إلى تهذيبها وتحسينها لكونها محوراً يدور عليه عالم كبير يستحق كل الالتفات إلى نظامه"[11]

---

[10] ابراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت. ص 538.

[11] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 47.

تعكس رؤيته أن الاعتماد على السياسات المناسبة هو السبيل الوحيد للحفاظ على نظام إنساني سليم. وباعتبار أن الشريعة تمثل المحور الرئيسي لهذا النظام، فإنه يتعين تهذيبها وتحسينها بشكلها الكامل. كما يؤكد أهمية ترسيخ الحق وتحسين الهيئة لبناء سياسات عامة فعّالة.

ويؤكد على الحق في فرص المشاركة في صنع القرارات التي تؤثر على حياة الناس افراداً وجماعات. بالرغم من أن مؤلفاته لا تحدد بوضوح منظوراً موحداً حول هذه القضية، إلا أنه ينتقد الأنظمة القمعية والحكام المستبدين، الذين يعوقون التقدم الفكري ويضعون عقبات أمام الحريات الفردية.

حبث يُقدم تحليلاً منطقياً لتلك السلطات القمعية وينوه على ضرورة بناء مجتمع مبني على العدالة والمساواة. كما يدين استبداد السلطة المطلقة التي تؤدي إلى الظلم والعبودية، موجهاً انتقاده لمن يوظفها بشكل مغلوط ومخادع عبر إضفاء صبغة شرعية عليها بدوافع ذاتية. مما يجعل الأفراد – على نحوٍ شامل – عبيداً. ويبيّن أصول تسلط البشر على بعضهم البعض، على أنهم يُركزون بشكل كبير على أنفسهم، مما يمنحهم سلطة مفرطة، ويحرمهم القدرة على فهم الآخرين، يقول: "البعض لشدة ضعف نظارتهم وقصر أنظارهم لا يرون جلياً سوى أنفسهم، وكلما أمعنوا النظر زيادة تباعدت عن إدراكهم المرئيات، ولاحت لديهم أشباحاً ضئيلة؛ فيرجعون غير معتبرين سوى أنفسهم. وينشغفون بحب ذواتهم لتوهمهم أن عُمْدةَ العالم هم، فيهيمون في حب التسلط والسيادة على أشباههم، والتلاعب بالأرواح حسب أهوائهم لأنهم لم يدركوا اعتبار الخليقة ولا واجباتها فيحتقرونها، ومن يحتقر الشيء، قد يحتسبه مخلوقاً لخدمته أو لاستظهار قدره"[12]

بالنسبة للمرّاش، إن السلطة الحقيقية تكمن في أيدي الأفراد الذين سيطروا على أفكارهم وعواطفهم، مما سمح لهم بالتصرف بحكمة ونزاهة. وشدد على أهمية التفكير والوعي الذاتي من أجل ممارسة الحكم بمسؤولية. ولتحقيق ذلك يحدد جملة من الأحوال، منها : المتطلبات والصفات التي يجب أن تتوفر بالشخص الذي يتعاطى السياسة. منها: أن يكون رجلاً من أصل كريم، وامتلاكه صفات أخلاقيّة حميدة، وملمّاً بالعلوم الرياضية والأدبية والشرائع والقوانين، وفطناً، وأن يكون عادلاً "لأن العدل يثبت الحكم ويوطده ويجعل الحاكم محبوباً من جميع الناس ممدوحاً من الأخيار مهاباً ومخافاً من الأشرار الذين لا لجماح شرهم سوى هيبة الحاكم"[13] مُعتبراَ إن وجود هذه السمات قد ينعكس في نتائج عمله، والعكس صحيح، "فبمقدار كونه مستقيماً تستقيم، وبمقدار كونه منحرفاً تنحرف." [14]

ومن أهم الدواعي السياسية، هو النظر الدائم إلى ما تطمح إلى هذه السياسية في تحقيق الصالح العام أو خدمة الشعب، كما ينص على الاهتمام بما يسبب العمار أمر مهم لتفادي الخراب، "إذ إن إهمال ما يسبب العمار هو تسبيب لوقوع الخراب، وهذه الملاحظة تنحصر، جميعها في توقيع ما يَؤول نفعه إلى العامة إجمالاً وإفراداً، ودفع ما يقيض إلى الضرر".[15] أي أن يركزوا على ما يفيد العامّة بشكل عام، والأفراد بشكل خاص، وأن يتجنبوا كل ما يضر بالمجتمع. تمتد الخطوات التي يجب اتخاذها لتحقيق ذلك – في نظره – خمسة أركان، وهي: (تمهيد سبل العلوم، وتسهيل طرائق التجارة، وتقوية وسائل الصناعة والأشغال، ومساعدة الزراعة والفلاحة، رفع أسباب التعدي).

---

[12] المرّاش، فرنسيس فتح الله، رحلة باريس 1867، حررها: قاسم وهبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004 ، ص 24.

[13] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 48.

[14] الموضع نفسه.

[15] المصدر نفسه، ص 50.

تمثلت الدعامة الثانية "تثقيف العقل" وذلك من خلال ترويضه بالعلم، باعتبار أن هذا الأخير هو أساس المدنية، يقول بذلك: "ولا يتم هذا التثقيف إلا بالتروُّض في العلوم والفنون ودراسة المعارف الطبيعية والأدبية. ومن المعلوم أن العلم يخلق في الإنسان قلباً نقيّاً وروحاً مستقيمة، ويجعله ظافراً بكل الصفات الصافية ونافراً عن كل ما يشين الجوهر الإنساني، ولا يترك له سبيلاً إلى التفكُّر في الأمور الدنيَّة للأميال المنحرفة؛ وهو الأمر الذي تشتق منه كل أفعال الشر، وعليه تُبنى كل دعائم التوحش"[16] أي أن التعلم العلمي يخلق في الإنسان قلباً نقياً وروحاً مستقيمة، إذ "فيه ارتقى الإنسان ونجح، وتجلل وفلح، وأصبح أعظم الكائنات وأجود الموجودات.. فما العلم ألا جمال الإنسان وكمال الأذهان."[17]

بناء عليه ينعكس ذلك في سلوكه الحضاري ويجعله منطلقاً نحو القيم النقية وبعيداً عن الشوائب الإنسانية. إذ يرى "بالعلم يستطيع الشرقي كما فعل الغربي، أن يتغلب على حل مشكلاته، والعلم وحده يستطيع أن يعيد بناء ذاته، وبالتالي يعيد تقويم تاريخ ويضع الأسس التطورية لحاضره ومستقبله."[18]

وبفضل هذا التعلم، لا يكون لدى الإنسان الوقت أو الرغبة للتفكير في المسائل التافهة والعقلانية المنحرفة التي تؤدي إلى الأفعال الشريرة، وهذا ما يشكل أساس الوحشية والتخلف في المجتمع. في هذا السياق نلاحظ أنّ التركيز على بناء الإنسان منذ مرحلة الطفولة بالاشتغال على المنظومة التربوية، بحيث يكون الخير متأصلاً في تكوينه الداخلي، ليس فقط الانشغال بالأمور الأخرى. حسب ما ذهب إليه روسو، في أن المنظومة التربوية تشكل الأساس في تكوين شخصية الفرد، فإذا نشأ على مبادئ سليمة، لن يكون بحاجة ليشغل نفسه بأمور أخرى ليبتعد عن الشر، لأنه ببساطة لن يكون الشر متأصلاً في تكوينه الأخلاقي أو النفسي. ومن هذا الضوء، إن الاعتماد فقط على الانشغال كوسيلة لمنع الشر ليس حلاً كافياً، فهو مجرد سلوك مكتسب، لجهة أن الإنسان قد يجد نفسه في لحظات فراغ، وهنا يظهر دور الأخلاق الراسخة والمبادئ التربوية.

وأن انتصار الحرية منوط بارتباطها بالعلم، ويجب أن يكون مع العلم "جيوش التمدن الزاهر" عبر مواكبة أحدث الاختراعات والمعرفة المتسلحة بأنوار الحكمة والعدل المتحصنة بالحرية التي يمكن أن تلحق الهزيمة بالظلم وبكل ما يمكن أن يحصن نفسه به"[19]

ويرجع فساد الحكم والأحوال السياسية إلى التخلف عن مواكبة العلم من قبل الشرقيين أنفسهم، فخلال إقامته في باريس، تبين له بوضوح الفجوة بين الغرب والشرق القائم على الاستبداد، فهو لا يقتصر على مستوى التطور التقني والعمراني وحسب، بل يمتد أيضاً فيما يتعلق بالتقدم الثقافي والحضاري. واعتقد أن تحقيق التقدم في الشرق يتطلب تحرير الفكر، وزيادة دور الصحافة أو الجرائد، في نشر الوعي وتعزيز التطور الثقافي، "فلا ريب أن هذا هو السبب الوحيد الذي رفع هذا القرن إلى شأو كمال التهذيب."[20]

---

[16] المصدر نفسه، 52.

[17] المرّاش، فرنسيس فتح الله، مشهد الأحوال 1881، مؤسسة هنداوي، مصر، 2021، ص 65.

[18] المعوش، سالم، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 1998، ص 224.

[19] نصيرات، فدوى أحمد محمود، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009 ، ص 143.

[20] مقال الجرائد 1871، انظر باروت، محمد جمال، حركة التنوير العربي الحديث في القرن التاسع عشر، ص 178.

على الرغم من أن المرّاش يؤكد على أهمية العقل البشري كدعامة أساسية للتمدن، إلا أنه يرى أن هذا العقل ليس قادراً على معرفة أسرار الكون والمجهول، وهو يستخدم نظاماً بالتحاور بين العلماء للوصول إلى الحقائق. وبالإضافة إلى ذلك، يسخر من المعتقدات الخرافية والسحر والشعوذة والتنجيم وعلم الغيب، يكتب بذلك: " ولا تَحسن ثياب التمدن على كل أولئك الذين ينزلون الخرافات منزلة الحقائق وينذرون بها على الآفاق غير عالمين أنه لا شيء يدنس تلك الثياب النقية ويلطخها نظير اعتناق الأكاذيب والأباطيل واشاعتها "[21]

تحمل رؤيته التشدد على ضرورة عدم انتهاج الأكاذيب والخرافات في الحياة. يستخدم مصطلح "ثياب التمدن" للإشارة إلى السلوك المدني والمحافظة على الحقائق والوقوع في الأخطاء. وعدم تلطيخ "ثياب التمدن" بممارسة الكذب والترويج للخرافات. إذ يرى أن الأشخاص الذين يشيعون هذه الاخيرة ينخرون في مكانة الحقائق الصادقة ويجعلونها ملوثة ومتسخة. ومن الجهل الاعتقاد بها، قائلاً:

"خالوهُ ضربَ عجيبةٍ قدماً وقد زعموا الذي أنشاهُ للسحر التجا
وبقدر ما تُغشى الجهالة في الورى تَغشى العجائبُ والسواحرُ ترتجى"[22]

وعليه، إن تحرّرَ العقل العربي من القيود الغيبية والشعوذة، سيكون له دور أساسي، ليس في تعزيز الروح الوطنية وحسب، وإنما أيضاً، في إغناء حياتنا الثقافية والارتقاء بنا كحضارة شاملة.

وجاءت الدعامة الثالثة على المستوى الأخلاقي، "تحسين العادات والأخلاق"، وفي هذا الإطار يتطلب اشتغال أو عمل الذات على ذاتها، أي تهذيبها وتهيئتها أخلاقياً للدخول في حالة التمدن وبالتالي تحقيق التقدم. "إن النظر إلى عوائد البشر وأخلاقهم يعتبر كأعظم دليل على حالة تمدُّنهم ومقامه، فكلما كانت هذه العوائد والأخلاق جيدةً كان تمدُّن أربابها جيداً وعالياً، وكلما كانت قبيحةً كان قبيحاً. "[23]

وفي هذا الضوء أكد المراش أهمية تشكيل الأفراد بالقيم الحميدة منذ ولادتهم، ورفض القيم السيئة التي لا تتوافق مع مفهوم التمدن. وقد أشار إلى عدة سلوكيات سيئة تتعارض مع مبادئ التمدن، مثل السكر الذي يؤثر سلباً على العقل، والنهم الذي يجعل الإنسان يتصرف بوحشية. ونهى عن الكذب، لأن التمدن يقتضي الصدق والنزاهة. كما حث على تجنب نمط حياة الفجور الذي لا ينسجم مع معايير التمدن التي تستند إلى النقاء والعفة. وأكد أن التمدن لا يتفق مع النميمة؛ لأنها تعتبر تصرفاً قبيحاً يفضح أسرار الآخرين. وأخيراً، أشار إلى أن التمدن يحتاج إلى التسامح والهدوء وتجنب الغضب، وتعزيز الصبر والثبات في مواجهة الصعاب والتحديات."[24]

كما يؤمن بأن الدين كونه تشريعاً أخلاقياً، ومنبع التمدن الباطن، وجد لتهذيب العامة، فهو واسطة من وسائط التمدن، معتبراً أن التمدن لا يمكنه أن يحيا من دون الدين، الذي يمثل البدن والروح، فهو الذي أوصل العالم إلى دائرة التهذيب، ومنع السقوط في الهاوية والفساد. ناهيك عن رفضه لكافة أشكال التعصب الديني والمذهبي، فالمرّاش ليس مناهضاً للدين، بمعنى لا ينشغل بتجديده أو بتعريفه، بل أخذ الدين بالمفهوم الأخلاقي كتجربة روحية، يمكن الاستغناء عنه عند نيل الإنسان قسطاً كبيراً من العلم والأدب. وبهذا الاعتبار، يوضح المرّاش في "شهادة الطبيعة"، ما إليه عائشة

[21] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 59.

[22] المرّاش، فرنسيس فتح الله، مرآة الحسناء 1872، مؤسسة هنداوي، مصر، 2018، ص 56.

[23] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 55.

[24] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 55، 56، 57. بتصرف.

الدباغ، الذي يؤكد أهمية الشرائع الدينية في تهذيب النفوس وتحسين السلوك الإنساني. وفقاً لرأيه، لا يوجد شيء يمكن أن يقوم بمثل هذا الدور العظيم سوى القيم والتعاليم الدينية. يعتقد المرّاش أن تلك الشرائع تمنح البشرية القدرة على التحكم في جوانب سلوكها السلبية وتأمينها من السمات الشريرة. ويحذر بشدة من خطورة الكفر والانحراف عن الإيمان، إذ يجهم كفرهم في نار لا تنطفئ ودود لا يموت. ويؤمن بأن الإنسان لديه ميلاً غريزياً إلى الديانة، ويصبو إلى تجربته بحماسة."[25]

وفي الدعامة الرابعة "صحة المدينة" يحدد المرّاش ثلاث خصال تقوم عليها المدينة، وهي: النظافة، وتمهيد الشوارع والأزقة، ترميم الأبنية. يقول إذ "إن أول شيء يُستدل به على تمدن أمة أو توحشها هو النظر الى حالة مدينتها، فكلما كانت المدينة صحيحة كانت التمدن صحيحاً، وكلما كانت مستقيمة كانت مستقيماً" [26]

يتناول مسألة التلوث وآثاره السلبية والتعدي على الطبيعة. لذا يحثُ على ضرورة التصدي لهذه المشاكل البيئية من خلال تبني ممارسات صديقة للبيئة والحفاظ على نظافتها. يتمثل الهدف من التحدث عن هذه المسألة ليس فقط تحقيق "الغايات الأدبية وحدها، بل الغاية الطبيعية أيضاً وهي إراحة الطبيعة الحيوية ممَّا يقلق نظامها ويزعج وظائفها"[27]

تمثلت الدعامة الخامسة والاخيرة "المحبة" الأساس الرئيسي في بناء المجتمع السليم. حيث جاءت رؤيته الفلسفية في محاولة التوفيق بين الإيمان الديني والحداثة الاجتماعية. حسب تعبيره، يصبح واجباً على الإنسان المحبة انطلاقاً من ذاته، ليمتد حبه ويشمل جميع البشر، وتحقيق الإنسانية من خلال أخذ الخالق كقدوة، من حيث حقيقة أن الخالق، حينما شهد كماله، تلاقيه حباً لذاته بشكل طبيعي. ولما خلق الكون بهذا الحب، فإن جميع الكائنات وكل شيء يتحرك ويعتني بأجزائه تبعاً لقوة الحب. قائلا بهذا السياق: "إن الإنسان إذا كان يحب نفسه، فهو ملزم، تبعاً لهذه المحبة، أن يحب شبيهه بالإنسانية تسديداً لحق كماله الطبيعي، وذلك اقتداء بخالقه الذي عندما رأى جوهره ملء الكمال أحب ذاته. وبمحبته هذه خلق العالم محبوبا منه"[28]

إذ يقول: إن الحب أصبح رابطاً يجمع العالم كله، حيث أصبحت جميع الأسماء المستخدمة في وصف القوة مترادفة في معناها. "حتى كأنها تَوَدُّ أن تشرح بذاتها معنى تلك المحبة الجوهرية التي قد أنشأها الباري بذاته أزليّاً وأصدرها كلمة لتدبير الأكوان التي بها كانت وبغيرها لم يكن وبغيرها لم يكن شيء مما كوّن"[29]

ويشدد على أن المحبة هي القوة التي تحرك الخلائق وتدير الكائنات بأشكال مختلفة تُعرف "الناموس العام"، يقول: "ليس أن تكون هي نفس الذات الإلهية منبثَّة في جزيئات الخليقة، بل هي القوة التي جعلها الله لتحريك الخلائق وتدبير الكائنات تحت أشكال مختلفة تدعى الناموس العام"[30]

---

[25] الدباغ، عائشة، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، دار الفكر، ط1، بيروت، 1972، ص 128.

[26] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، المصدر السابق، ص 60.

[27] الموضع نفسه.

[28] المرّاش، فرنسيس فتح الله، غابة الحق، مصدر سبق ذكره، ص 63.

[29] المصدر نفسه، ص 62.

[30] المصدر نفسه، ص 63.

وفي هذا الضوء، يؤكد أن الحرية الحقيقة تأتي من اندماج الإنسان في هذا الناموس العام، وأنه من خلال المحبة بين البشر التي خُلقوا بها، تؤدي لتوحيد الأفراد وتأليفهم معاً على وجه الأرض؛ "إذ إن المحبة هي القوة الوحيدة للتأليف بين أفرادهم المتفرقة على وجه الأرض، والضابط الأول لنظام عالم تمدُّنهم، بخلاف البعض الذي ينزل منزلة القوة الدافعة بين الأجسام فيبعدهم عن بعضهم ويشتت شمل هيئتهم ويسلبهم راحة الحياة المحبوبة لهم بالظفرة الأصلية"[31]

الخاتمة

يكشف لنا تحليل أفكار المرّاش عن مواطن ضعف وقصور في تصوره للدولة والحاكم المثالي، تمثل في غياب آليات عملية لتحقيق هذا التصور. فبالرغم من وضوح خصائص وميزات الدولة المثالية لديه، إلا أنه لم يُحدد الخطوات التنفيذية، ولا الأدوات والوسائل اللازمة لهذا التحول، سواء أكانت سياسيةً أم اقتصاديةً أم اجتماعيةً. وبالتالي، يبقى طرحهُ مُجرداً نظرياً، وحُلماً بعيداً عن التطبيق العملي.

على الرغم من ذلك، فإن كل يوتوبيا عبر التاريخ استمدت خطابها من منبع القيم الإنسانية الكبرى، وهي: العدالة، والمساواة، والحرية، ساعيةً إلى تحقيقها على أكمل وجه. وبناءً على ذلك، كان خطاب الحداثة، في محاولته إحداث نهضة قائمة على هذه القيم، يؤكد أن تطبيقها لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود قوانين ودولة، إذ تمثل هذه الاخيرة، الإطار الوضعي الكفيل لإمكانية تحقيقها. ناهيك على أن صورة اليوتوبيا التي جاءت في عصر النهضة لم تكن مختلفة عن يوتوبيا توماس مور Thomas More، وكأنَّ المرّاش – في هذا السياق – استلهم أفكاراً من مور فيما يخص تأسيس يوتوبيا، حيث سعى كلاهما إلى بناء مجتمع عادل يُحقق الحرية والسعادة لِجميع أفراده، بإلغاء أسباب التناحر على السلطة، واعتماد المبادئ الأخلاقية والقيم السامية. إلا أن التاريخ يُظهر تطور الفكرة اليوتوبية في أوروبا باتجاه مُختلف، في عصرنا الحال، مُتأثراً بالرأسمالية والتقنية، محوّلاً الرؤية المثالية إلى مجتمع صناعي يُحاول تكييف الإنسان مع الآلة، كما يبين نظام تايلور، مُفضياً إلى صورة مُشوّهة لليوتوبيا، بعيدة عن الأهداف الأصلية للمثالية.

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

وفي ضوء ما تقدم، نستنتج أن مشروع المرّاش يفتقر إلى تصور عملي واضح لتحقيق الدولة المثالية التي نظّر لها. كما أن أفكاره استمدت مرجعيتها من القيم الإنسانية الكبرى مثل العدالة والمساواة والحرية. وتأثر مفكرنا في تصوره لليوتوبيا بالأفكار الكلاسيكية، سيما يوتوبيا توماس مور. وقد عرف الفكر اليوتوبي في أوروبا تحولاً من النزعة المثالية إلى النزعة التقنية والصناعية، مما أدى إلى فقدان البعد الإنساني الأصلي.

التوصيات

وعليه جاءت توصيات البحث في النّظر إلى المثل العليا بمنظور نقدي يراعي فيه التحديات الواقعية ويتجنب التحول إلى أشكال مشوهة للمثل العليا. والتأكيد على أهمية التشريعات والمؤسسات كإطار أساسي لترجمة القيم الكبرى إلى واقع ملموس. وضرورة التنبه إلى خطر تحوّل اليوتوبيا إلى أداة للهيمنة أو إلى مشروع آلي يفقد الإنسان جوهره الأخلاقي والإنساني.

[31] **الموضع نفسه.**

References
[1] F. F. El-Merras, *The Forest of Truth* (1865), Haydawi Foundation, 2014.
[2] F. F. El-Merras, *Journey to Paris 1867*, edited by Q. Wahba, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2004.
[3] F. F. El-Merras, *The Mirror of the Beautiful* (1872), Haydawi Foundation, Egypt, 2018.
[4] F. F. El-Merras, *Situation Scene* (1881), Haydawi Foundation, Egypt, 2021.
Bibliography
[5] A. Ibrahim, *Encyclopedia of Arabic Narratives*, Vol. 1, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, no date.
[6] M. J. Barout, *The Arab Enlightenment Movement in the 19th Century*, Ministry of Culture Publications, Damascus, 1994.
[7] L. Sheikho, *History of Arabic Literature*, Vol. 2, Al-Mashreq House, 3rd Edition, Beirut, 1991.
[8] A. Dabbagh, *Intellectual Movement in Aleppo in the Second Half of the 19th Century and the Beginning of the 20th Century*, Dar Al-Fikr, 1st Edition, Beirut, 1972.
[9] P. D. Tiraazi, *History of Arab Journalism*, 1931, Haydawi Foundation, Egypt, 2023.
[10] J. Asfour, *The Ultimate Introduction to Truth*, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, Damascus, 2001.
[11] K. Al-Hilu, "Liberal Thought in Francis El-Merras," Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2006.
[12] S. Al-Ma'oush, *The Western Image in Arabic Novel*, Al-Rihab Modern Publishing House, Beirut, 1998.
[13] F. A. Nusayrat, *Arab Christians and the Arab Nationalism Idea*, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2009.